

التبيان في تفسير القرآن

(413) خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون (35) أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون (36) أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون (37) أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين (38) أم له البنات ولكم البنون (39) لم تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون (40) عشرة آيات بلا خلاف. لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا في النبي (صلى الله عليه وآله) أنه كاهن ومجنون، وأنه شاعر نتريص به ريب المنون أي نتوقع فيه حوادث الدهر والهلاك، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله عليه واهل (قل) لهم يا محمد (تربصوا فاني معكم من المتربصين) فالتربص هو الانتظار بالشئ إنقلاب حال إلى خلافها. والمعنى إنكم إن تربصتم بي حوادث الدهر والهلاك، فاني معكم من المنتظرين لمثل ذلك، فتربص الكفار بالنبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين قبيح، وتربص النبي والمؤمنين بالكفار وتوقعهم لهلاكهم حسن، وقوله (تربصوا) وإن كان بصيغة الامر فالمراد به التهديد. وقوله (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) على طريق الإنكار عليهم ان هذا الذي يقولونه ويتربصون بك من الهلاك. أحلامهم أي عقولهم تأمرهم به، وتدعوهم إليه والاحلام جمع الحلم، وهو الامهال الذي يدعو إليه العقل والحكمة، فإلى الله تعالى حليم كريم، لانه يمهل العصاة بما تدعو إليه الحكمة، ويقال: هذه أحلام قريش أي عقولهم. ثم قال تعالى ليس الامر على ذلك (بل هم قوم طاغون) والطاغى هو الطالب للارتفاع بالظلم لمن كان من العباد، ومنه قوله (انا لما طغى الماء) (1) لانه

(1) سورة 69 الحاقة آية 11 (*)